

بينما نزور النهارده سجن القلعة ونتعرف على المكان . هنبداً بأغنية الشيخ إمام فى سجن القلعة لما لقي نجوم المجتمع رفقاءه:

"اتجمعوا العشاق فى سجن القلعة. اتجمعوا العشاق فى باب الخلق والشمس غنوة من الزنازن طالعة. ومصر غنوة مفرعة فى الحلق تجمعوا العشاق بالزنازن. مهما يطول السجن مهما القهر مهما يزيد الفجر بالسجانة. مين اللي يقدر ساعة يحبس مصر تعد قلعة صلاح الدين من أهم المعالم التاريخية التي تحكي قصص الجهاد والدفاع عن الأرض والعرض. بنيت هذه القلعة في الأصل لتكون نقطة استراتيجية لصد هجمات الصليبيين والدفاع عن المناطق الإسلامية المحيطة بها. تميزت بتصميمها المعماري الفريد والذي يعكس البراعة والحرفية التي كان يتمتع بها المسلمون في تلك الفترة. صلاح الدين الأيوبي، الذي أعاد القدس إلى أحضان المسلمين بعد فترة طويلة من الاحتلال الصليبي، وعلى مر العصور، ولكنها ظلت واقفة شامخة، تروي للأجيال قصص البطولة والتضحية التي قدمها أجدادنا في سبيل الدفاع عن الدين والوطن. البوابة أولي تربط باب الحديد بالقلعة. والبوابة الوسطى تم تسميتها بذلك لأنها كانت تقع وسط بين المبنىين الإداريين الذين يتبعوا السلطان قلاوون والسلطان قنصوه الغوري، كما أنها تقع في الوسط بين البوابتين بوابة المقطم والبوابة الحديدية. تضم قلعة صلاح الدين أربعة قصور، قصرين منها بنيا في عهد محمد علي باشا، وهما قصر الجوهرة الذي أنشئ سنة 1814، وقصر الحرم الذي أنشئ سنة 1826. صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية عام 1176م لتكون الرباط الذي يربط كبرى مدن العاصمة المصرية القاهرة والفسطاط اللتين أحاطهما بسور واحد فكانت القلعة بمنزلة القلب النابض لهما، لكن القدر لم يمهله ليرى اكتمال مشروعه الدفاعي عن مصر ضد أي هجمة صليبية، واكتمل البناء في عهد السلطان الكامل. أما عن سجن القلعة فيعود تاريخيا إلى عصر دولة المماليك، ومنذ العهد الملكي مروا بالعهد الثوري، فمنذ أن انتقل الخديوى إسماعيل إلى قصر عابدين، وجعله مقرا للحكم عام 1874، أصدر قراره وقتها بإنشاء سجن القلعة الواقع بين ردم جامع محمد على ليكون سجنا للأجانب، باعتبار سجن القلعة بزنازاته القليلة وشدة حراساته هو أنسب الأماكن؛ لأداء الغرض وقتها. سجن القلعة هو سجن "باستيل مصر" وقد أصبح متحفا للشرطة ومن المقرر أن يتحول إلى مزار سياحي وهو يترجم تاريخا يعود إلى زمن وسلاطين عصر المماليك ومنذ العهد الملكي مروا بالعهد الثوري، ومنذ أن انتقل الخديوى إسماعيل إلى قصر عابدين وجعله مقرا للحكم لم تعد القلعة تستقبل الملوك والسلاطين والرؤساء والسفراء بل اقتصر ضيافتها على المعارضين من كل ألوان الطيف السياسى وتحولت إلى رمز من رموز القمع والقهر، وارتبطت بقصص التعذيب والجلادين؛ كما أصبحت جامعة للنضال والجهاد تخرجت فيها مجموعات من الوطنيين على اختلاف الأدوار والأعمار. بعد وفاة الخديوى إسماعيل، أصدر ابنه توفيق فرمانا بتوسعة طاقة السجن الاستيعابية، وتحول سجن القلعة منذ عام 1897 لبعض التعديلات الطفيفة الملازمة لتحول السياسة الخارجية المصرية فى ذلك الوقت، فلم يعد يقبض على كثير من الأجانب، واقتصر نزلاء سجن القلعة على المعارضين المصريين لجبروت الخديوى ما طبع سمعة السجن بالتدرج لسجن السياسيين أو المعتقلين فى قضايا ضد النظام. بعد قيام ثورة يوليو أصدر عبدالناصر قرارا جمهوريا بتوسعة سجن القلعة من جديد بعد تسلم البوليس الحربى مفاتيحه وخضع لفترة طويلة تحت قيادة "شمس بدران" أحد أباطرة التعذيب المعروفين حتى قرر الرئيس مبارك بعد توليه المسؤولية تحويله لمتحف يتبع وزارة الثقافة. يحتوى السجن على 42 زنزانا مقسمة على قطاعين أحدهما شرقى والآخر غربى، إضافة إلى ثمانى غرف تعذيب أشهرها غرفة الفرن أو "الشواية" بالناحية الشرقية منه. سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع لتجهيزها أوائل الستينيات بنظام غازى يجعل جدرانها ساخنة باشتعال مواشير مخصوصة، وفى ذلك الوقت كان يتم إدخال المعتقلين كل 5 أفراد وإشعال المواشير ومع الوقت تؤثر حرارة الجدران على أجسادهم فى وسيلة لإجبارهم على الاعتراف، أو الإدلاء بأوصاف وأسماء زملائهم. وفى الناحية الغربية للسجن تقع غرفة التعليق وهى نفسها الغرفة التى تم تعذيب الرئيس السادات فيها بعد فصله من الجيش المصرى فى العصر الملكى بعد اتهامه بمقتل أمين عثمان -وزير المالية المصرى قبل قيام ثورة يوليو 1952. كما توجد غرفة تسمى الحلقات والتى صممها مهندس فرنسى يدعى لوميان فى عهد الملك فؤاد عام 1932 على غرار غرفة شبيهة بسجن الباستيل الفرنسى الشهير المسماة بغرفة "نزع الاعتراف" وفيها يتم تعليق السجنين من قدميه بسقفها مع تدويره بسرعة لدقائق ما يصيب أجهزة جسمه بالاضطراب، وهى نفسها الغرفة التى يقال إن عبدالناصر أعطى أوامره بعدم تعريض الكاتب الراحل مصطفى أمين لها بعد سجنه فى قضية التخابر المعروفة بعد قيام ثورة يوليو. أشهر المعتقلين. ولمدة قليلة، أسبوعين من 3/10/707هـ إلى 18/10/707هـ، وسببها أنه ألف كتابا فى الاستغاثة، لمدة شهرين أو تزيد، إلى أول سنة 708هـ. لمدة سبعة شهور. ودخل سجن القلعة أيضا الرئيس محمد أنور السادات تقول رقية السادات كنت فى سن السادسة عندما اعتقل والدى فى معتقل أرميدان بسجن القلعة فى قضية مقتل أمين عثمان، وقتها قال لى أحد أقاربنا والدك مسجون، فأخذت أبكى بكاء شديدا حتى زرته

فى سجنه، وعندما وجدت التعذيب يطول كافة المساجين أصابنى الرعب، فطمأننى الضابط صلاح ذو الفقار وقتها، وقال لى إن والدى لا يعذب مثل باقى المساجينوفى سجن القلعة أيضا تم اعتقال فتحى الشقاقى مؤسس وأمين عام حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين اعتقل بسبب تأليفه كتاب (الخمينى الحل الإسلامى والبديل ) وكان وقتئذ يدرس الطب فى مصر – ثم أعيد اعتقاله فى 20/7/1979 بسجن القلعة لمدة أربعة أشهر وبعد الإفراج عنه غادر مصر إلى فلسطين فى 1/11/1981. ومن اليسار المصرى الشاعر عبدالرحمن الأنودى 1967 وكان نزىل بالزنانة رقم 21 والأديب جمال الغيطانى زنانة رقم 37 وحلمى سالم ومجموعة قىل إنها ارتبطت بتنظيم القوميين العرب لطفى الخولى وإبراهيم سعد الدين وأمين عز الدين وصلاح عيسى و200 آخرون 1966 وادعى رفعت السعيد أنه اعتقل به، وسعيد الكفراوى فى السبعينيات والثنائى أحمد فؤاد نجم والشيخ إمام عيسى 1967، «وأخذ عبدالناصر قرار بعدم خروجهم من السجن طول ما هو عايش يعنى يقول نجم وإمام دول مش هيخرجوا من السجن طول ما أنا عايش وكان ده آخر تصريح قاله فى حياته»، وأوفى النظام بوعده وظل إمام ونجم سجينين حتى مات عبدالناصر وانتهى النظام. فى السجن ظل الثنائى يمطرا النظام بأغانى مثل القذائف فعندما يُضيق نظام ما على مبدع تتسع آفاق ذلك المبدع، هذه قاعدة لا يريد أن يفهما المتعسفون وهى قاعدة لم تستثن الشيخ إمام ولا أحمد فؤاد نجم، فى سجن القلعة الرهيب بلغ إمام ونجم مدارات جديدة، بالاحتكاك اليومى الوجودى بالمتقنين فى زناناتهم كبرت أغانى الشيخ إمام واتسعت لتشمل الهم الفلسطينى أولا ثم هموم العالم من فيتنام شرقا حتى أمريكا اللاتينية غربا وصدحت الزنانات فى سجن القلعة بتمجيد هوشمن وتشى جيفارا. يقول أحمد فؤاد نجم: عملنا كثير أوى فى المعتقل عملنا شغل كثير أوى عملنا شغل مش كثير بس، كثير وله قيمه زى مصر يا أما يا بهية عملنا وشى منا عملنا فلسطينية، وكتب نجم بعد الهزيمة 1967: الحمد لله ولا حول مصر الدولة غرقانة فى الكذب علولا والشعب احتار وكفاية أسيادنا البعدة عايشين سعدا بفضل ناس تملى المعدة وتقول أشعار أشعار تجمد وتماين حتى الخاين وإن شاء الله يخربها مداين عبدالجبار وقال نجم هذه ليست شماتة طب أنت تدينى فرصه ليه عشان أشمت فيك وأنت ماسك كل حاجة فى مصر من سنة 1952 إلى. 15 سنة محدش بيتنفس إلا بإذنك. وغيرهم ورجال عبد الناصر 1971 سامى شرف وعبدالمحسن أبوالنور وعلى صبرى وشعراوى جمعة. وآخرون. ومن الإسلاميين شكرى مصطفى أمير تنظيم التكفير والهجرة ومجموعته وعبود الزمر قائد تنظيم الجهاد قاتل الرئيس السادات عام 1981 ومجموعته أيمن الظواهري ومنتصر الزيات كانوا بغرفة واحدة. وآخرون والشيخ عمر عبدالرحمن اعتقل أول مرة عام 1970 لأنه رفض صلاة الجنازة على عبدالناصر والشيخ عبدالحميد كشك 1966 وأحمد رائف صاحب كتاب البوابة السوداء 1966 وخالد الزعفرانى 1973 والمئات وربما الآلاف غيرهم من كل ألوان الطيف السياسى ومن ليس لهم أى لون سياسى. وكان المسئول عن سجن القلعة العقيد حسن أبو باشا وكان يعاونه أحيانا الرائد فؤاد علام والتقيب رؤوف خيرت والرائد أحمد راسخ والنقيب محمد ترك وغيرهم ومعظم المعتقلين الذى سبق ذكرهم مروا على أغلب السجون المصرية، فسجن القلعة خصص للاستجواب والتعذيب أو الاعتقال لفترة قصيرة. وهدد بالقتل، فقيل له فى ذلك، وكلمته المشكورة: «إن قتلت كانت لى شهادة، وإن نفونى كانت لى هجرة، ولو نفونى إلى قبرص دعوتُ أهلها إلى الله فأجابونى،